

دلائل الإعجاز

وليس كذلك الحال في قوله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) . (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) . لأن الأول من الكلامين فيهما كالثاني في أنه خبير من الله تعالى وليس بحكاية . وهذا هو العلة في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّهُمْ إِنَّمَا زَكَّوْا مُمْسِلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) . إنما جاء (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) مستأنفاً مُفْتَحاً بِاللَّامِ لِأَنَّهُ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تعالى بأنهم كذلك والذي قبله من قوله (إنما نحن مصلحون) حكاية عنهم فلو عطف لَلَزِمَ عليه مثل الذي قدَّمْتُ ذكره من الدخول في الحكاية ولصار خبراً مِنَ الْيَهُودِ ووصفاً مِنْهُمْ لأنفسهم بأنَّهم مُفْسِدُونَ . ولصار كأنه قيل : قالوا إنما نحن مُمْلِحُونَ وقالوا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . وذلك ما لا يُشَكُّ في فساده . وكذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْزِلْهُ كَمَا آمَنَ السَّافِهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) . وَلَوْ عُطِفَ (إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ) على ما قَبْلَهُ لَكَانَ يَكُونُ قد أُدْخِلَ في الحكاية ولصار حديثاً مِنْهُمْ عن أنفسهم بأنهم هُمُ السَّافِهَاءُ من بَعْدِ أَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا تَزَكَّوْا أَنْ يُؤْمِنُوا لئلا يكونوا مِنَ السَّافِهَاءِ . على أَنَّ في هذا أمراً آخر وهو أَنَّ قولَهُ : " أَنْزِلْهُ كَمَا آمَنَ السَّافِهَاءُ " لا يُعْطَفُ الخبرُ على الاستفهام . فَإِنْ قُلْتُ : هَلْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ) على " قالوا " من قوله : (قالوا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ) لا على ما بَعْدَهُ وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ فِي (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) وَ (إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ) . وَكَانَ يَكُونُ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلْهُ عَلَى رَجُلٍ مَلَاكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ مَلَاكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ) وَكَذَلِكَ أَنَّ قولَهُ (وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ مَلَاكاً) معطوف من غير شك على " قالوا " دون ما بَعْدَهُ قِيلَ إِنَّ حُكْمَ الْمَعْطُوفِ عَلَى " قالوا " فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك أَنَّ " قالوا " هَا هُنَا جَوَابُ شَرْطٍ . فَلَوْ عُطِفَ قَوْلُهُ : (إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ) عَلَيْهِ لَلَزِمَ إِدْخَالُهُ فِي حُكْمِهِ مِنْ كَوْنِهِ جَوَاباً وَكَذَلِكَ لَا يَصِحُّ . وَذَاكَ أَنَّهُ مَتَى عُطِفَ عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ شَيْءٌ بِالْوَاوِ كَانَ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : .

أحدهما : أَنْ يَكُونَ شَيْئَيْنِ يَتَصَوَّرُ وجودُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُونَ الْآخَرِ وَمِثَالُهُ قَوْلُكَ : إِنْ تَأْتَيْنِي أَكْرَمُكَ أَعْطَيْكَ وَأَكْوَسُكَ